المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات ISSN : 2602-5663 -المجلد 06 - العدد 02، أفريل (2023)/ 552-568

سوسيولوجيا التحول اللغوي في الجزائر: دراسة بنيوية للعلاقة اللغة – المجتمع

The sociology of language shift in Algeria: a structural study for relationship language- society

هباشي فوزية*[1] ، نوري دريس[2]

[1] جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، الجزائر ،مخبر المجتمع الجزائري المعاصر.f .hebbachi@univ-setif2.dz

[2] جامعة محمد لمين دباغين سطيف2،الجزائر. drisnouri@hotmail.fr

Hebbachi faouzia [1*], Nouri dris [2]

[1] university of Mohamed lamine debaghine sétif 2(Algeria) [2] university of Mohamed lamine debaghine sétif 2 (Algeria).

تاريخ الاستلام:2022/05/25 تاريخ القبول:2022/12/14 تاريخ النشر:2023/04/30

ملخص:

تندرج هذه الدراسة ضمن موضوع التحول اللغوي الناتج عن ديناميكية البنى الاجتماعية. فقد ارتأينا مقاربة ظاهرة التحول اللّغوي المتولد عن التعددية اللّغوية داخل المجتمع الجزائري، وتحليل آليات إنتاجه كسلوك اجتماعي مرتبط بالتغيير في استخدام اللغة المحلية المعتادة. وبسياقات الاتصال اللّغوي الناتج عن عدة عوامل تاريخية سوسيو–ثقافية، وكذا تفسير مظاهر التحول وأشكاله بناءً على مجموع التأثيرات التي يسببها التفاعل والتبادل الاجتماعي.

تتميز العلاقة لغة – مجتمع بالديناميكية والارتباط العاملي لمجموع التغيرات الهيكلية، لذا يُعد كل تحول لغوي نتاج لهابيتوس لغوي ولمجموعة من الاستعدادات المشكلة تاريخيا داخل البنية اللغوية الكلية للمجتمع. لهذا ولغرض توجيه البحث وبناء براديغم يتيح لنا تحليل الظاهرة سوسيولوجيا يجب الوقوف عند العناصر التالية:

- الزاوية المعرفية والنظرية التي تساعد على مقاربة إشكالية تحول اللّغة وعلاقتها بالثنائية اللّغوية والتبادل الاجتماعي وكذا طرق الاتصال، التي تؤثر في تمثلات ومواقف الفرد/الجماعة في الاختيار اللّغوي.
- الواقع اللّغوي الخاص بالمجتمع الجزائري، الذي يحوي عدة ممارسات لسانية مرتكزة على ثنائيات لغوية ومرجعيات نسقية متنوعة، وعلى عمليات اجتماعية وتاريخية متعلقة بالاحتكاك والاقتراض والهجرة والتعليم.
- تحليل الرأسمال اللّغوي الجزائري وعلاقته بالسوق اللغوية من أجل فهم طبيعة التنوعات اللّغوية وآليات تحولها داخل البناء الاجتماعي العام.

الكلمات المفتاحية: التحول اللغوي، المجتمع الجزائري، الواقع اللغوي، الاتصال اللغوي، السوق اللّغوية.

Abstract:

*هباشي فوزية.

This study deals with the issue of language shift resulting from the dynamics of social structures. We have considered approaching the phenomenon of language shift resulting from linguistic pluralism within Algerian society, and focused on analysing the mechanisms of its production as social behaviour linked to the change in the use of the usual local language. We also dealt with the contexts of linguistic communication resulting from several historical and sociocultural factors, as well as the researcher tried to research the interpretation of the manifestations and forms of transformation depending on the total effects caused by interaction and social exchange.

The relationship that links the duality of (language - society) is characterized by the dynamism and global connection of a total of structural changes, so each language shift is a product of a linguistic habitus and a set of historical preparations within the overall linguistic structure of society.

For this, and for the purpose of directing the research and building a paradigm that allows us to analyse the phenomenon sociologically, we must consider the following elements:

- It is the cognitive and theoretical points that help to approach the problematic of language shift and its relationship to linguistic duality and social exchange, as well as communication methods, which affect the representations and attitudes of the individual/group in the linguistic choice.
- The linguistic reality of Algerian society, which contains several linguistic practices based on linguistic binaries and various systemic references, and on social and historical processes related to dialogue, borrowing, migration and education.
- The analysis of the Algerian linguistic capital and its relationship to the linguistic market is due to the aim of understanding the nature of linguistic diversity and the mechanisms of its transformation within the general social structure.

Keywords: language shift, Algerian society, linguistic reality, linguistic communication, the linguistic market.

1. مقدمة:

معالجة إشكالية التحول اللغوي لا تتأتى إلا بتبني مقاربة بنيوية تنطلق من ثنائية " اللغة– المجتمع" لتركز على الشكل الشامل لبنيويات اللسان بوصفه نظام اجتماعي، بدلا من التركيز على الاستخدامات المحددة التي يتعاطى الفرد اللسان من خلاله. بهذا المعنى الدراسة تبحث في إمكانية وحدود اللغة التي تحمل معنى الفعل الاجتماعي (lahouari, 2013, p. 187)وتفسر التعدد، والتي تحاكي عمق الايتوس الجماعي والخلفية الهوياتية للمجتمع الجزائري.

يفتح لنا الإقرار بعدم وجود قطيعة بين العناصر اللغوية والاجتماعية المجال للتركيز على توضيح طبيعة الخصوصية الاجتماعية التي تظهر وتتطور فيها اللغة كوسيط اتصالي، يليه تحديد مجموع العوامل المتحكمة في توجيه الإرادة العقلية للفرد الواعي بخصوصية الفضاء العام، وتنظيم مختلف الظواهر اللغوية منها ظاهرة التحول اللغوي. كيف تحدث ظاهرة التحول اللغوي؟ ولماذا؟ وبماذا هي مرتبطة؟ هي أسئلة تتيح الإجابة عنها التمييز بين اللغة كنظام اجتماعي والكلام كفعل فردي، وكذا فهم الميكانيزمات السوسيو–لغوية للمجتمع الجزائري و طبيعة التغييرات التي تطرأ على لسانه. ففي نظر البنيوية التكوينية عندما تكون لغة ما في حالة تحول، وعندما يطرح

السؤال عن معرفة طبيعة اللغة التي نتكلمها، فذلك معناه أن المجتمع هو الذي يتغير ويتفاعل مع عناصر لغوية واجتماعية جديدة.

تحاول هذه الدراسة طرح موضوع التحول اللغوي ضمن نقاشات علم الاجتماع، منطلقة من مسلمة أساسية مفادها: إن التحول اللغوي يتمركز حول البنية الاجتماعية وتمثلات ومواقف الجماعات المتكلمة، وهي ظاهرة اجتماعية ضرورية وطبيعية من أجل خلق سيرورة سوسيو-تاريخية سليمة، وتطوير ملكة لغوية متكافئة توفر مجالا يحيط بجوانب الهويات وبنوعية الأدوار الاجتماعية المحيطة بهذه الأخيرة.

ولهذا، فإن هذه الدراسة تقترح مناقشة طبيعة التنوعات اللغوية الموجودة داخل البناء اللغوي الجزائري، ووضعية الرأسمال اللغوي وعلاقته بطبيعة التحولات اللغوية التي تحدث داخل النسق الاجتماعي العام.

سوسيولوجيا، من الضروري دراسة اللغة ضمن الأطر المختلفة للعلاقات الاجتماعية، وهي علاقات بإمكانها تقوية عمليات التبادل الثقافي والتفاعل الاجتماعي، أو على العكس من ذلك فقد تخلق عمليات تنافس وصراع اجتماعي بين مختلف الفئات الاجتماعية ذات الخلفيات الثقافية المتنوعة، مع عدم غض النظر على أن ما يحدث تاريخيا أول الأمر هو عملية الاتصال والاحتكاك. لتأتي فيما بعد ظاهرة الثنائية اللغوية التي تنتج الأفضلية اللغوية التي بدورها تؤدي إلى إبراز إما حالة من القبول اللغوي وبالتالي موت اللغة الأولى أو الإبقاء اللغوي عليها.

على هذا الأساس ستحاول الدراسة الوقوف على التأثيرات التي يشكلها الواقع اللغوي المعايش للثنائية والتداخل اللغوي، و كذا طبيعة المرجعيات النسقية (الأمازيغية العربية والفرنسية) على ظاهرة التحول اللغوي في الجزائر.

2. اجتماعية التحول اللغوي: مدخل نظري.

إن اللغة من منظور ادوارد سابير متغيرة دائما، بل ليس ثمة لغة مهيمنة / متسلطة (sapir, 1921, p. 35)، إذ الواقع الاجتماعي يفرض إنتاجا سوسيو – تاريخي يكشف الكثير من الاختلافات اللغوية والتبدل داخل الجماعة المتكلمة la communauté parlante أو الجالية اللغوية[1]- بتعبير الأنثربولوجيا الألسنية- . فالمقاربات السيميولوجية التي بدأها دو سوسير من منطلق حدودها السوسيو- ثقافية ظهرت كسلسلة متكاملة من أساليب التحليل السوسيولوجي، لأن التغيير والتحول اللغوي قبله كان مختزلا في مجموع الأفعال الفردية(wald, 1999) .

بشكل أكثر وضوحا من دو سوسير فتح ادوارد سابير مجالا واسعا من التحليل لعلم اللغة الاثني وأكد على أهمية اللغة التي يتم استيعابها من طرف أفراد المجتمع(Marie- paul ferry, 1970) ،وتقبلها كعنصر ثقافي و هوياتي مهم. ففكر ما بعد الحداثة المهتم بديناميات المجتمعات المعاصرة و تحولاتها الايديولوجية اللغوية يعد إلى حد كبير تطورا ناتجا عن الأفكار التي قدمها دو سوسير والمدرسة الأمريكية للأنثربولوجيا الألسنية التي بدورها أعادت صياغة موقف دو سوسير في دراسة اللغة بوصفها نظاما مجردا ومنعزلا وبعيدا كل البعد عن

السياقات الاجتماعية التي تستخدم فيها ، والسبب هو تقليله لدور الفعل الاجتماعي الخاص باللسان في تفصيل الحالة والمكانة الاجتماعية للكلام، حيث ادعى بأن للغة مميزات بنيوية محددة وجزم –كما فعل اميل دوركايم– بأن هناك جوانب وحقائق اجتماعية خاصة بالنشاط الشفهي للسان الذي يعد أهم اجتماعيا من الكلام لأن النظام الاجتماعي عموما أهم من الدلائل الفردية، نظرا إلى أن الأشكال الفردية للكلام خاضعة مسبقا لقواعد اللسان ومقيدة به (هيوسون، 2016، صفحة 172).

إن السياقات الاجتماعية ولا سيما تلك التي تقوم على الطبقية، هي التي تشكل طبيعة اللغة وتحولاتها زمنيا وليس الدوال المنغلقة على ذاتها التي افترضها دو سوسير (هيوسون، 2016، صفحة 197)،لهذا لا طالما واجهت السيميائية صعوبة في ربط اللغة بمصادر القوة الاجتماعية السياسية أو الاقتصادية وافتقادها للمكون السوسيولوجي المساعد في فهم أشكال النشاط الاجتماعي المنظم لاستخدامات اللغة على المستويين الفردي والجماعي، بعبارة أخرى السيميائية منهجية جيدة لفهم ثقافة أي مجتمع إلا أنها لم تتهيأ بشكل كافي لفهم المجتمع وديناميكيته خصوصا الجوانب المادية منها، لهذا ظهرت فيما بعد حقول معرفية عدة اهتمت بدراسة تأثير التفاعل الاجتماعي والاتصال اللغوي والتغييرات الفعلية في أنماط استخدام اللغة داخل المجتمع.

قد يطرح التساؤل الذي مفاده: لماذا يتدخل عالم الاجتماع في اللغة و اللغويات؟ .

لا يمكن لعلم الاجتماع أن يفلت من جميع أشكال الهيمنة التي لا تزال اللسانيات ومفاهيمها تمارسها على العلوم الاجتماعية (bourdieu, 1977, p. 17)،فاللغة هي الدليل الرمزي لثقافة أي مجتمع، وهي تطبيق عملي مصمم للتحدث، وهذا يعني أنها تستخدم في الاستراتيجيات التي تتلقى جميع الوظائف العملية الممكنة وليس وظائف الاتصال والتواصل فقط. لذا يمكننا القول إن النقد الاجتماعي يخضع المفاهيم اللغوية (منها مفهوم التحول اللغوي) إلى تحليل ثلاثي الأبعاد: علاقات الاتصال أو التفاعل الرمزي، علاقة القوة الرمزية، ومسألة معنى الخطاب قيمته وقوته الاجتماعية، لهذا نجد بورديو يركز دائما على أن الرأسمال الرمزي لا ينفصل عن موقع المتكلمين داخل البنية الاجتماعية، التي يشدد عليها في تشكيل أفعال الأفراد والمناهج الذاتية التي تركز على أفكار الجهات الفاعلة اجتماعيا وقيمها التي تحفز أنظمة استعداداتهم من جهة أخرى (هيوسون، 2016، صفحة 134).

إذن فاللغة تختلف باختلاف المتحدث ووفقا لعلاقات الإنتاج اللغوي، أي وفقا لبنية التفاعل اللغوي (في حالة الحوار) أو يعود إلى موقف الفرد (bourdieu, 1977, p. 33) وتمثلاته الاجتماعية، بحيث يتم تنظيم الممارسات اللغوية بناء على علاقات القوة بين الممارسات المهيمنة و المهيمن عليها (boutet, 2017, p. 32)التي يترتب عنها صراعات وتعارضات تعتمد أساسا على التغير الاجتماعي وعلى بنية المجال اللغوي الذي هو في حد ذاته تعبير خاص بهيكل توازن القوى بين المجموعات التي تعايش تعددا لغويا، وتتكلم لغة اثنية أو لغة أجنبية، بحيث تختلف في الوقت نفسه في استخدام لغة التواصل كسلوك اجتماعي يرتبط أساسا بسياقات الاتصال اللغوي من ناحية، وبالعمليات النفسية والاجتماعية والثقافية المستمرة، من ناحية أخرى.

هكذا، فإن البنية الاجتماعية هي أساسا مبدأ التغيير اللغوي الذي ينتج عنه التحول، والأفعال والتجارب التي تقع في صميم هذه الديناميكية هي تجارب لها أسباب اجتماعية وتاريخية وليست بيولوجية أو فردية فقط، وهي مرتبطة ارتباطا مباشرا بجماعات كلامية شكلت مع الوقت علاقات تبادلية وروابط اجتماعية متينة (تونيز، 2017، صفحة 84)، رغم المواقف الاجتماعية المحفزة لتبديل اللغة كدافع الهوية العرقية أو من أجل إظهار البعد الاجتماعي للأفراد (holmes، 2013، صفحة 57).

من الصعب إذا تحديد من هو المتحدث ومن هو غير المتحدث بلغة معينة، والمصدر الأساسي لهذا التعقيد هو ازدواجية اللغة والنزعة الأبعادية اللغوية، لهذا يجب التأكيد على أن ما من فردين يتحدثان بنفس اللغة تماما لأنه لا يمكن أن يتوفر لهما نفس القدر من التجارب والخبرات اللغوية (هدسون، 1990، صفحة 27)،في مجال متعدد الأبعاد un espace multi- dimensionne مستند إلى مجموعة من المعايير التي يمكن لها توضيح أوجه التشابه والاختلاف للكلام ولوحدات لغوية أو نوعيات من اللغة لها نفس الخصوصية الاجتماعية.

يبدأ طرح علماء اللغة عند معالجتهم لموضوع التحول اللغوي من افتراض أن للغة قيمة اجتماعية، ويواصلون البحث عن خصائص اللغة انطلاقا من عمليات الاتصال بين الفئات الاجتماعية وفي طبيعة الرأسمال اللغوي. والذي يتضمن بدوره مستويات مختلفة من القبول الاجتماعي فتحدده طرق الكلام التي تتخلى / تستبدل ولو بشكل مؤقت عن خلفيتها اللغوية الأصلية وعن تأثير شخصية الوطن le caractère national ، لهذا "كارل منهايم" رأى أن المجتمع الذي يسود فيه نظام وأنساق بنيوية مختلفة، يعتمد أساسا على التمييز الذي يحدث داخل الهيراركية الاجتماعية " العليا والدنيا" على صعيد الموضوعات المعرفية أو اللغوية، وينتج بذلك رأسمال لغويا مغايرا ومختلفا كعامل رئيسي مساهم في التغير اللغوي الذي منه يحدث التحول (Mannheim، 1956، صفحة 184).

فموضوع التحول اللغوي متشابك وبشكل معقد مع مجالات معرفية مختصة في الاتصال اللغوي وثنائية اللغة تعددها /تغيرها /موتها، مع ذلك لا يمكن الاستعانة بهذه التعقيدات كذريعة لتجاهل السياقات التاريخية والظواهر الاجتماعية التي ساعدت الباحثين على إنشاء مجال بحث يهتم أساسا بالتحول اللغوي وبرسم التغييرات الخاصة بمجموع الإجابات المنهجية الخاصة بالتساؤل الذي طرحه أول مرة جوشوا فيشمان[2] :" من يتحدث أي لغة، لمن ومتى؟"، والمرتبطة أساسا بمساهمات كل من أوريل واينرايش uriel weinriech، اينار هوجن einar haugen، هاينز كلوس hienz kloss وتشارلز فيرغسون charls ferguson الذين تأثرت أعمالهم بالتقاليد والتطورات في المجالات المعنية بدراسة الاتصال اللغوي بما في ذلك الانثربولوجيا وعلم اللهجات (fishman، 1964).

الاختلافات اللسانية المتضمنة بنيويا تحولا لغويا، ترجع إلى طبيعة الفضاء الاجتماعي والثقافي وخصوصيته، لذا من الضروري فهم الأثر الذي تتركه الأفعال الكلامية خلال عملية تبديل أسلوبها اللغوي، ودراسة القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الممارسات اللغوية الناتجة عن طريق عملية الاتصال والتفاعل بين

اللغات في السياق الاجتماعي الخاص بالمتكلمين، قبل أن نربطها بشكل غامض معرفيا بالتشكيلات الاجتماعية ومستويات تحليل السلوك اللغوي. من أجل هذا يمكن الاستعانة بالنقاط التي حددها اوريل فاينرايش وجوشوا فيشمان الخاصة بالتركيز على سلسلة الموضوعات المتعلقة بالتنظيم الاجتماعي للسلوك اللغوي بما في ذلك المواقف السلوكية العلنية اتجاه اللغة ومستخدميها وليس فقط استخدام اللغة في حد ذاتها.

يرى اوريل فاينرايش إنه عند دراسة التحولات اللغوية داخل الجماعات يجب تسليط الضوء على طبيعة التحولات في ظل الوضع العام للاتصال اللغوي بحيث يكون توزيع اللغة الأم منسجما مع التوزيعات الأخرى غير اللغوية من أجل ترك المجال للاستجابة والتفاعل مع اللغة الجديدة وسط الجماعات الصغيرة المختلفة (pauwels،2016 ، صفحة(19 ، كمرحلة انتقالية يتهيأ فيها المتحدث لإفساح المجال أمام استخدام لغة أخرى غير لغته الأم.

في المقابل، جوشوا فيشمان في نظريته " وظيفية الثنائية وتشابك النطاق" سعى إلى إبراز أهم المراحل التي تمر بها ظاهرة التحول اللغوي، وكذا الأنماط العامة الخاصة بلسان الجماعات المهاجرة، بحيث كل مرحلة في الغالب تستغرق فترة من الزمن وتمهد للمرحلة التي تليها، فهي تختلف من جماعة إلى أخرى حسب طبيعة مجتمع الكلام وخصوصية المجتمع المستقبل. فالمرحلة الأولى يتعلم فيها الفرد اللغة الجديدة من خلال الاستعانة بلغته الأم، المرحلة الثانية يتمكن فيها المتحدث الممثل للجيل الثاني من استخدام اللغتين معا، أما المرحلة الثالثة فهي الفترة التي تستخدم فيها اللغتين بصفة مستقلة (الثنائية اللغوية)، وأخيرا المرحلة الرابعة التي تزيح فيها اللغة المكتسبة اللغة الأم في كل مجالات الاتصال داخل مجتمع الكلام (Joshua، 1971).

الملاحظ أن نظرية فيشمان تخص فقط تحول اللغة لدى المجموعات المهاجرة، وهذا نوع واحد من التحول وأكثرهم شيوعا، إلا أنها تعطينا فرصة لفهم طبيعة هذه الظاهرة واستيعاب الجوانب الأخرى كالتمدن، التصنيع والتغييرات الاقتصادية، لغة المدرسة، علاقات المصاهرة وكذا المكانة الكبيرة التي تحظى بها اللغة المتحول إليها مقارنة باللغة الأم.

في المقابل، المعاصرين من اللغويين أمثال فلوريال كولماس، نظروا إلى هذه الظاهرة بنظرة تعكس تعقد مكوناتها، فهي عملية تدريجية نموذجية للمجموعات المهاجرة إلى مناطق ناطقة بلغة مختلفة والتي تميل – بعد جيلين أو ثلاث- إلى ترك اللغة الأم واستبدالها بلغة المحيط الاجتماعي الجديد وبالتالي موتها واختفاءها، حيث من النادر ان تحدث هجرة جماعية كبيرة لأفراد الجماعة المتكلمة الواحدة لنفس المنطقة الجغرافية (كولماس، 2000، صفحة 215)، الأمر الذي يسمح على الأقل بإعادة قولبة لغة جديدة تحوي قاموس اللغتين معا.

تجدر الإشارة إلى أن ظاهرة التحول مرتبطة/ تتأثر أكثر ب:

- ظاهرة الانتشار اللغوي: المرتكزة على اللغة الآخذة في النمو والتي تتهيأ لكي تكون البديل، من خلال عدة عوامل مؤثرة تكون في الغالب عوامل تاريخية، اقتصادية أو سياسية وسيطة لمجموعة من الممارسات الثقافية التي تؤسس مع الوقت ميزات سياقية تتيح التفاعل والتبادل الاجتماعي بين المتكلمين أصحاب الأرض و الوافدين أو المهاجرين إليها.

- التطعيم الثقافي (التثاقف): المعتمد أساسا على اكتساب ثقافة عن طريق الاحتكاك والتفاعل وهي ظاهرة تنشأ في المجتمع بفعل التداخل بين ثقافتين مختلفتين أو بين حضارتين، وتبرز في العادة داخل البلدان التي كانت مستعمرة سابقا (مصلح، 2006).
- الثنائية اللغوية: المتمثلة في استخدام مجتمع المتكلمين للغتين مختلفتين في تعاملاتهم اليومية (لغة أم ولغة مختلفة مكتسبة، أو لغة فصحة وأخرى عامية).
- التداخل اللغوي: الذي يحدث عادة عند استخدام أو اقتراض الفرد لمفردات أو لتركيبة معجمية وصوتية خاصة بلغة اجنبية معينة.
- الابقاء اللغوي: هو استمرار الحفاظ على اللغة المحلية، خلال مواجهة/ احتكاك الجماعة مع لغة أكثر انتشارا داخل المجتمع.
- القولبة اللغوية: هي ظاهرة كلامية يعاد فيها اعادة تحويل بعض المفردات المحلية والاجنبية الى اللغة المحلية للمتكلم، مع اضفاء تغيير/تقديم / تأخير في ترتيب حروف المفردة بسبب اختلاف اللهجات مثال ذلك: مهبول المحرف عن "أبله".

3. سوسيولوجيا الواقع اللغوي في الجزائر.

انطلاقا من الخلفية السوسيو-ثقافية للمجتمع، لا يمكن فصل الحالة اللغوية للجزائر عن باقي المناطق المغاربية والمتوسطية بشكل عام، وهذا نابع أساسا من المكون الأساسي للقاموس اللغوي الذي تقولب تدريجيا عن طريق الفتوحات الاسلامية، الوجود العثماني وكذا الاستعمار الفرنسي. ففي الواقع، ما ينطبق على هذه الدول ليس سوى تجسيدا تاريخيا لخيارات ايديولوجية عميقة مرتبطة أساسا بالحركات الوطنية التي بنت ركيزتها على تحديد الهوية، والدولة الموحدة ثقافيا ولغويا.

في جزائر ما قبل الاستقلال، اللغة عززتها راديكالية سياسية مالت أكثر الى رفض تنوعها (نجم شمال أفريقيا ثم حزب الشعب ، الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية وأخيرا جبهة التحرير الوطني)، فقد رأت أن الحل الأمثل يكمن في الوحدة اللغوية والهوياتية. المعنى أن التوجه العروبي- الإسلامي ومكانة الوحدة الهوياتية لعبا تاريخيا دورا مركزيا في البناء الوطني بالجزائر أكثر مما هو في البلدان المغاربية الأخرى. وجود نقطة الارتكاز هذه في الحالة الجزائرية جعل – نسبيا- التوجه القومي والحزب الواحد وكذا السياسة الاستعمارية التي طبقت الحصار وفرضت الفرنسة في أغلب القطاعات ، الصانع الأول للشغب والاحتجاج الاجتماعي حول موضوع الهوية الجزائرية ومكانة اللغة الأمازيغية.

أغلب العوامل التاريخية والسياسية تساهم وبشكل كبير في الحفاظ على لغة معينة وتطوير قاموسها اللفظي بعدما كانت عرضة للاندثار والموت البطيء، فالامازيغية في الجزائر ساعدتها الظروف والأحداث التاريخية قبل الاستقلال وبعده، لأن الصراع اللغوي والايديولوجي الذي حدث عبر مختلف المراحل التاريخية للدولة، ساهم وبشكل كبير في دسترتها وإقرارها كلغة رسمية مع اللغة العربية.

الواقع اللغوي الجزائري يتضمن عدة ممارسات تستند أساسا على فضاءات لغوية متعددة، مدعمة بمرجعيات نسقية اثنية / دينية/ كولونيالية، ناتجة عن عمليات الاحتكاك والاقتراض اللغوي التاريخي. فالحدود بين

هذه الفضاءات وكذا المتغيرات الثقافية الخاصة بالأمازيغية و باللهجة العربية المحلية أو الفرنسية تعيد تعريف الوظائف الاجتماعية لكل فضاء لغوي مهيمن أو مهيمن عليه، لهذا فالتغيير اللساني يوفر دائما طريقا منهجيا لدراسة التحول اللغوي الذي يتشكل كبدائل اجتماعية متعايشة، تعايش لا يتم على أساس شيوع لغة على حساب أخرى بل على أساس تغير بنيوي مشروط بالتوزيع الاجتماعي والآليات الخاصة بطريقة الاتصال بين مختلف الفئات الاجتماعية، وكذا العلاقات اللغوية التي هي دائما علاقات مرتبطة بالسلطة الرمزية، لهذا يستحيل تأويل الفعل التواصلي في حدود التحليل اللساني وحده (بورديو، 1997، صفحة 103)، ويستلزم الأمر الاستعانة بالمتغيرات الخاصة بالجنس والأصول الطبقية والمستوى التعليمي من أجل تحديد البنية الموضوعية لعمليات الاتصال والتواصل بين الأفراد، بحيث يتبع جوهريا الشكل الذي يتخذه التفاعل اللغوي لتلك البنية التي تبقى مرتبطة باللاوعي والايتوس الجماعي _ حسب بيير بورديو- .

الجزائر رغم الاختلاف اللغوي المحلي، تشكل وحدة حضارية حقيقة، يربطها تلقائيا السلوك الاجتماعي الذي بدوره قابل للفهم بشكل عام لدى أغلب الفئات الاجتماعية في الجزائر خصوصا الشابة منها، فعلى سبيل المثال يظل نظام التنكيت متطابقا في موضوعاته الأساسية خصوصا الثقافية والسياسية منها في جميع المناطق الجزائرية وحتى الشمال أفريقية رغم التعدد اللغوي.

في الواقع، اللسانيات لا يمكن أن توفر مجالا معرفيا لتحديد الاختلافات الهوياتية رغم الاختلاطات البشرية التي حدثت مع مرور الوقت في بلدان شمال أفريقيا بشكل عام، لهذا يجب أن نكون حريصين على عدم إعطاء أي نوع لغوي امتيازا مطلاقا مهما كانت أهميته – على سبيل المثال التمييز بين العرب والأمازيغ (رغم صورتها النمطية)-[3].

مع ذلك يمكن أن نقول بأن النسق اللغوي هو بمثابة معيار اجتماعي خاص بتحديد الجغرافيا اللغوية، لأن التعدد والاختلاف اللغوي هو أوضح علامة على وجود تنوع ثقافي معين. لهذا لا يزال بإمكان المختص في الإثنولوجيا الحريص على إتباع التعابير الطبيعية للواقع اللغوي في الجزائر، فرز المجموعات اللغوية (كالمتحدثين القبائل أو المزابيين) ومعالجة فضاءاتها الاجتماعية وخصوصيتها الثقافية التي تتقولب ضمنها الممارسات اللغوية.

تؤدي دراسة بنية الكلام وعلاقتها بالمنطقة الجغرافية والعوامل التاريخية والاقتصادية التي شكلته في الجزائر، إلى الحديث عن مختلف الوسائط التي تتحكم في عمليات الإنتاج السوسيو- ثقافي للخطاب اليومي وتحولاته، بمعنى الاعتراف بخصوصية الفضاء الاجتماعي الذي ينتج فيه الأفراد كلامهم، دون عزلها عن الفضاء الكبير الذي هو المجتمع، لهذا يجب الإشارة إلى أن اللغة بشكلها العام في الجزائر تتميز بسلسلة متصلة باللغة العربية ومن الصعب أحيانا تحديد الحدود بين الأنواع المرتبطة بها وغير المرتبطة أيضا[4]، ناهيك عن اللهجات المنشقة منها، والتي تتميز بجرعة من اللغة العربية مع وجود معجمي قوي للاقتراض من اللغة الفرنسية أو حتى التركية التي يمكن ملاحظتها على مستوى المحيط الأسري (قهواجي،زرناجي، couloir...الخ).

في الحياة اليومية، يتخاطب سكان مدينة الجزائر العاصمة مثلا، بلغة تمزج بين العربية والفرنسية وحتى الأمازيغية، وذلك بطريقة منتظمة، حيث تتشابك هذه اللغات حتى داخل الجمل المنطوقة، بحيث الانتقال من لغة إلى أخرى يتم دون استعمال علامات الوقف أو غيرها، نذكر على سبيل المثال: (أزول ياخو واحد jus

naturel مذا بيك/ نحب sans pitié elالبالو/ قوجا راجل/ عفسة عفاسي...). هذه الحالة هي نتيجة احتكاك النازحين المنتمين إلى مناطق جغرافية مختلفة من الوطن حيث ساهم في خلق نموذج لاقتباس الألفاظ دون اللجوء إلى عمليات التعجيم lexicalisation المتوفرة في الشكل العام للغة، لأن عمليات التبادل الخاصة بالألفاظ اختصت غالبا بالأسماء والكلمات المخصوصة mots pleins والناتجة عادة من الضعف اللغوي أو من عملية الاقتراض العشوائية.

غالبا ما نجد كلمات مقترضة في لغة الشباب، تستعمل استعمالات خاصة لا يفهمها إلا هم (الابراهيمي، 2002، صفحة 16)، وهذا راجع أساسا إلى عملية التناقل اللغوي والاحتكاك الاجتماعي وحتى التعاملات التجارية بين فئات تنتمي في الغالب إلى مناطق مختلفة من الوطن، أو تعود أساسا إلى تأثير وسائل التكنولوجيا الحديثة التي تحوي فئات اجتماعية ذات خلفيات متعددة و ثقافات بعيدة عنا لغويا .

يعتبر هذا النوع من التناقل والاقتراض اللغوي من أقوى الميكانيزمات المؤشرة على وجود توجهات اجتماعية منادية بروح التضامن وبحق عضوية الفرد في الجماعة (صبولسكي، 2017، صفحة 130)، بمعنى توفر حالة من الخيارات اللغوية التي تتضاعف شيئا فشيئا وبشكل متباين حسب طبيعة التنشئة الاجتماعية للمتكلمين، وهذا دليل وإشارة واضحة على مدى تأثير خصوصية السياق الاجتماعي على ظاهرة التحول اللغوي.

إذن اللغة المستخدمة في موقف معين داخل الحياة اليومية لا تعتمد فقط على الكفاءة (بالمعنى الذي أتى به تشومسكي)، ولكن أيضا على السوق اللغوية، وبالتالي فإن أي موقف لغوي يعمل كسوق، يضع فيه المتحدث منتجاته التي تعتمد أساسا على درجة القبول الاجتماعي .

كنتيجة، التعرف على واقع اللغة والممارسات اللغوية في الجزائر، خطوة مهمة خصوصا عند تسييقها contexetualisation ضمن دائرة اتخاذ القرار الخاصة بالفرد le processus décisionnel والفضاء السوسيو-لغوي والهوياتي العام، من أجل فهم ديناميكية وخصوصية وتركيبة المجتمع الجزائري.

4. طبيعة الرأسمال اللغوي في الجزائر.

قبل أن نخوض في مناقشة طبيعة الرأسمال اللغوي في الجزائر نضع الملاحظات التالية:

1. المجالات الاجتماعية هي مساحات منظمة بالمواقف الاجتماعية بحيث يتم تحديد تفاعلاتها عن طريق توزيع الرساميل، هي أيضا فضاء للنزاع والتنافس بين الأفراد من أجل الحفاظ على توزيع رأسمال لغوي معين أو القيام بتعديله.
2. تستخدم السوق اللغوية نظام قواعدا لإنتاج الظروف الاجتماعية التي تحدد قيمة الكلمات ومكانتها داخل النسق الاجتماعي العام.
3. السوق اللغوية هي إحدى محفزات التحول اللغوي، لهذا اللغة المستخدمة في موقف معين لا تعتمد فقط على الكفاءة بل أيضا على ردود الأفعال.
4. هناك خاصية مميزة للبنية اللغوية في الجزائر، وهي أسبقية المكانة الاجتماعية على التوزيع الجغرافي كعنصر محدد لنوعية لغة الجماعة الكلامية.

يجب الإشارة أولا إلى أن مفهوم السوق اللغوية le marché linguistique هو أي ممارسة رمزية لها طابع اجتماعي ، بحيث لا ينبغي حصره في معناه الاقتصادي البحت، فوفقا لبورديو المنتج اللغوي الذي يتم إنتاجه لهذا السوق يعتمد على درجة توقع الأسعار التي ستحصل عليها المنتجات، وبالتالي فإن تأثير أسواق اللغة يمكن ملاحظته في جميع حالات الاتصال، ويتم تصنيفها وفقا لما إذا كانت مساهمة إلى حد ما في تشكيل رأسمال لغوي خاص بجماعة كلامية معينة. هذه النقطة تشكل دعما لمقترحات سوسيولوجية تظهر عموما ثبات اهتمام واستثمار المختصين في علم الاجتماع في الأسئلة المتعلقة بكون ديناميكية السوق اللغوية أحد أهم الأسباب في حدوث التحول اللغوي.

إن أهم الخصائص المميزة للبنية الهرمية للغة هي وجود أسبقية للمكانة الاجتماعية على التوزيع الجغرافي كعنصر محدد لنوعية لغة الجماعة الكلامية وطريقة قولبة وإعادة القولبة اللغوية، لذلك هناك قدر من التباين الكلامي بين من ينتمون إلى الطبقات المتوسطة والدنيا، وبين أصحاب رؤوس الأموال داخل المجتمع الجزائري.

منذ بداية القرن العشرين سكان القصور كواد ريغ وتقرت مثلا ومدن الواحات شهدت عدة عوامل ساعدت في عملية تمدن البدو وأنصاف البدو semi- nomades (bisson, 1989)، الأمر الذي أحيا إشكالية التمييز اللغوي بين فئة الوافدين وأصحاب الأرض في القصور وبين البدو والسكان القرويين داخل الواحات، وفي الأنسجة العمرانية التي ذكر ابن خلدون في مقدمته تنوعها اللغوي والعرقي(الزنوج/ الامازيغ/ العرب) (خلدون، 1921)، الأمر الذي يؤكد قدم مظاهر التلاقي والاحتكاك اللغوي في الجزائر.

بموازاة هذه البنية وكنتيجة لطبيعتها يميل الرأسمال الثقافي الموروث في الجزائر، إلى إعادة إنتاج التوزيع غير المتكافئ للعلاقات اللغوية، فالاهتمام يسلط أكثر على طبيعة اللغة الخاصة بطبقة اجتماعية ما على حساب أخرى، رغم قابلية تغير اللغة وتحملها لديناميات البناء الاجتماعي الخاضع لاستراتيجيات الاستيعاب والتقبل (مثلا: شلحية/ شاوية)، والمتعلقة أساسا بخصوصية كل طبقة اجتماعية أو منطقة جغرافية، بعيدا عن الهيكل العام الخاص بتوزيع الرأسمال اللغوي القابل لإعادة الإنتاج. لهذا لا يمكن للفئات الاجتماعية اللغوية الادعاء بأنها مسؤولة على طبيعة قاموسها اللغوي والمعاني التي يحملها، لأن كليهما يتم إنشاؤهما بواسطة السوق اللغوية التي يتم فيه الإنتاج في كل مرة يوجد فيه تفاعل اجتماعي، لهذا الشيء الذي يسترعي الاهتمام هو العلاقة الموضوعية التي نجدها في الكفاءة اللغوية لمجموع المتكلمين وأيضا الكفاءة الاجتماعية التي تعتمد بشكل عام على المكانة الاجتماعية، العمر، الدين والوضع الاقتصادي.

إن كل عملية بناء ثقافي construction culturelle أو هوياتي identitaire تخضع لعملية بناء رساميل رمزي تقتضي تتبع ما يحدث داخل المجتمع من ممارسات خصوصا تلك المتعلقة بعمليات الاتصال واللغة، لهذا تحليل حركة الأسواق اللغوية يبين مدى استعمال اللغة ببنيتها المنوعة وتوسعها وانتشارها داخل المجتمع الجزائري، وكيفية إحداث تغييرات ضخمة في العادات الكلامية والاتصالية، لتأكد ضمنيا وجود تقبل جماعي للاختلاف اللساني رغم وجود عراقيل ومشاكل خاصة بطبيعة البناء الاجتماعي الجزائري العام كمشكلة الجهوية والهوية .

اللسان الجزائري حاليا في مرحلة التسوية اللغوية la normalisation et l'ajustesement linguistique التي أفرزت واقعا لغويا جديدا يستوعب المجال الاجتماعي العام بشكل مختلف عن المشاكل التي عرفتها الجزائر من قبل، لأنه يحوي أجيال مزدوجة الثقافة قابلة للتعايش والتبادل الثقافي واللغوي بعيدا عن القطيعة التي تدعوا إليه بعض الفئات الاجتماعية والنخب التي لا يزال راسخا في تمثلاتها أن اللغة الفرنسية مثلا لغة مستعمر ولا يجب الاستعانة بقاموسها اللغوي خلال عمليات الحوار والتعاملات اليومية.

الرأسمال اللغوي يصقل عن طريق اتصال وتفاعل الأفراد المنتمين إلى مختلف المناطق الجغرافية في البلد، حيث يتموضع استعمال اللغة المحلية الناجم عن الحس بالمقبولية والاحتكاك اللغوي بواسطة عمليات التبادل واقتباس الألفاظ في نطاق شكلي متكافئ، لكي تنسجم مع الحدث السوسولوجي حيث يتعايش الخطاب المبني على ممارسات ثنائية اللغة مع ممارسات أحادية اللغة (بيار، 1996، صفحة 79).

هل الدارجة الجزائرية تهيمن على السوق اللغوية في الجزائر؟ وهل تنجح في تحقيق تواصل سلس بين المجموعات اللغوية المختلفة؟ هل هي عبارة عن وسيط تواصلي؟. يمكن القول: إن اللغة الأم في المحيط الأسري، والتثاقف أو التطعيم اللغوي في المدرسة خلق نوع من تقسيم الأدوار والتوزيع الوظيفي المنظم، الذي أحدث بدوره استراتيجية تجانب juxtaposition ، وانسجام اجتماعي فرض وبطريقة آلية ازدواجية لغوية تعمل على تغذية التعايش اللغوي بين الجماعات الكلامية الناطقة بالعربية العامية والأمازيغية في الجزائر، أي أنه يثري ويوسع نطاق إدماج الفرد داخل المجتمع، دون الاضطرار للتخلي عن لغته الأم.

الثقافة والهوية في حالة انصهار (كوبر، 2012، صفحة 324)، لهذا لا يمكن فهم طبيعة الرأسمال اللغوي بشكل كامل دون أن نموقع من جديد الممارسات اللغوية في المجال الكامل للممارسات الاجتماعية المختلفة التي يمكن أن تتكامل معها العادات فيما يخص الأكل والشرب، الاستهلاكات الثقافية كالغناء مثلا، الأذواق فيما يتعلق بالفن وطريقة اللباس، أو دون أن نعطي الأهمية اللازمة للعامية التي تلعب الدور الأساسي في التعاملات الكلامية والتواصلية للجزائريين.

إذن، العامية أو الدارجة الجزائرية تهيمن على السوق اللغوية (بلعيد، 2017)، بحيث يمكن اعتبارها أداة تواصل رئيسية بين المجموعات اللغوية الجزائرية المختلفة، لأن الفرد الجزائري في أي منطقة كان هو ثنائي التأدية اللغوية.

انطلاقا من واقع سوسيولوجيا اللغة في الجزائر نجد أن البحوث حول تحولات اللغة محاصرة في قلب إشكالية العالم والسياسي الفيبرية، لأن الكتابة الابستمولوجية حول موضوع اللغة مرتبطة أساسا بمشروع التعريب وبعملية التسييس التي طالت أغلب الأبنية الاجتماعية, فمن منظور سوسيو- اقتصادي قام بيير بورديو بتحليل أهمية العلاقات بين الهياكل الاقتصادية والهياكل التاريخية في الجزائر التي انتقلت من اقتصاد فلاحي اشتراكي إلى اقتصاد رأسمالي ، هذا الانتقال من نمط تنموي إلى أخر لم يخلو من إحداث تحولات بنيوية في المواقف وفي السلوك اللغوي العام للجزائريين (madoui, 2014).

كما هو الحال مع التعددية اللغوية وازدواجية اللغة، حالة التحول اللغوي في الجزائر تعكس كل التصدعات التي هزت المجتمع، وجعلت اللغات المستخدمة تمر بأزمة بنيوية عميقة، فمنذ الاستقلال وعلى الرغم

من التقدم الكمي (التصاعد المستمر لنسبة المتمدرسين) في مؤسسات التعليم، تدهورت جودة التعريب وفقد معه التعليم المفرنس توازنه الطبقي. فطالما أن السلطة تدافع عن نفسها وتحاول المحافظة على مكانتها فهي تعيق استقلالية الفضاءات الاجتماعية منها الفضاء اللغوي، التي تخضع مطالبه وانشغالاته لمجموعة من المزايدات السياسية التي تحقق لها عدة مكاسب، لهذا الاستعمالات اللغوية التي تمرر بذكاء بارع في المجالات السياسية، تحمل في مضمونها شكلا من أشكال المواضعة[5] standardisation و المطالبة بالاعتراف أو كخطوة من أجل لفت انتباه واهتمام فئة اجتماعية معينة.

تسييس اللغة يعني خضوع اللغة بتنوع مرجعياتها النسقية لأطر وقوالب جاهزة، بحيث تعمل على تقييد الانتقال والتحول الطبيعي والسلس لها، مما جعل المشهد ضبابي بالنسبة للباحثين المهتمين بالظاهرة.

أجهزة الدولة لم تطبق عملية التعريب بشكل سليم وكامل، الأمر الذي جعلها تقع في حالة من العشوائية في التطبيق بالنظر إلى بعض التصدعات الداخلية الموجودة لحد الآن داخل نظام التكوين خصوصا بعد حصر عملية التعريب في الفروع الأدبية دون الفروع التقنية، الأمر الذي دفعها إلى إنتاج وإعادة إنتاج فروقات لغوية كبيرة وفئات اجتماعية مختلفة لسانيا، ظهرت زمنيا مع عمليات تعريب التعليم الابتدائي وجزء من التعليم المتوسط والثانوي (وزارة التخطيط)، وارتفعت نسبتها على امتداد سنوات 1967-1978، حيث أثرت في طريقة تشكل الهراركية الاجتماعية اللغوية وفي نوعية اليد العاملة داخل المؤسسات الاقتصادية، والتي رغم قانون التعريب كان لزاما على المتجهين لأسواق العمل الخاصة بها تعلم اللغات الأجنبية من أجل مجارات الأسواق العالمية، الشيء الذي أثر على الممارسات اللغوية للطبقة المتوسطة وعلى طريقة تعاملاتهم الكلامية في الحياة اليومية. وبالتالي فإن المتحدث الجزائري يكافح في وضع لغوي معقد لا يتقنه، ورأسماله اللغوي أكثر أو أقل انخفاضا بالكامل، سواء في المدرسة، في الجامعة، أو في سوق العمل.

5. التحول اللغوي في المجتمع الجزائري.

تحدث ظاهرة تحول اللغة عندما يستبدل مجتمع المستخدمين لغة محلية/ وطنية ما بأخرى، أو يتم الانتقال إلى لغة مغايرة خلال الحديث، فعلى الرغم من أن تحول اللغة يمكن أن يحدث بالفعل على مستوى المتحدث الفردي من خلال نظام استعداده اللغوي langagière habitus إلا أن التحول على مستوى المجتمع بأكمله يرتبط أساسا باستبدال اللغة أو فقدانها على نطاق واسع، و بتالي لا يوجد مجتمع يعرف أو عرف مطلقا أكثر من أن اللغة نتاج موروث من الأجيال السابقة (سوسير، 2014، صفحة 114).

التحول اللغوي أيضا عملية تدريجية نموذجية بالنسبة للجماعات المتنقلة/ المهاجرة/النازحة من منطقة جغرافية الى أخرى، حيث تميل إلى ترك اللغة التي جاءت بها إلى محيطها الجديد المتمتع بلهجة أو بلسان مغاير، بمعنى أن التحول يحدث عندما تتبنى جماعات مهاجرة اللغة المسيطرة التي قدموا إليها، كما أنه يحدث أيضا عندما تكون هناك ضغوط سياسية واقتصادية تعمل على استمالة أقلية تسيطر عليها أغلبية لكي تتخلى عن لغتها الأم.

عبد المالك صياد في نموذجه السوسيولوجي لظاهرة الهجرة ومن خلال دراساته وتحليلاته لها، قدم نموذجا مهما لدراسة المظاهر المتعددة لفعل الهجرة، وبين أن الهجرة والغربة ينتجان خاصية اجتماعية يمكن أن تتمثل حتى

في النسق اللغوي العام للجماعات التي تحتويهم، المعنى يمكن اعتبار الهجرة الداخلية داخل الجزائر أو خارجها وبتعدد أسبابها الدافع الرئيسي في نشوء وتطور ظاهرة التحول اللغوي في المجتمعات المحلية المستقبلة للمهجرين/ المهاجرين.

إذا، تتبع حركات الهجرة الداخلية والنزوح الريفي الى المدن التي حدثت في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، يسمح لنا بالوصول إلى بعض النقاط المهمة المساعدة في فهم أنماط الاستخدام اللغوي المحلي، والخروج بنتائج توضح أكثر البعد التاريخي التعاقبي للانتقالية اللغوية. فالتحول عملية تدريجية بالنسبة للمجموعات المهجرة (بسبب الاستعمار)، والتي تميل –بعد أجيال قليلة– الى التخلي عن اللغة التي جاءت بها الى محيطها الجديد، لأن طرق الاتصال تؤثر في تمثلات ومواقف الجماعة بصورة تراكمية في الاختيار اللغوي الذي يخضع أساسا لمراحل انتقالية يمكن تحديدها كالتالي:

1. يتعلم الوافد/ النازح/ المهاجر/المهجر(بفعل الاستعمار) اللغة الجديدة عن طريق توظيف اللغة الأم، وفي هذه المرحلة تستخدم اللغة الجديدة في مناح بسيطة خلال عملية الكلام.
2. في هذه المرحلة يتم تعلم اللغة الجديدة لدرجة التواصل والكلام بين الأفراد في المعيش اليومي.
3. الثنائية اللغوية بين اللغة الأم والعربية أو العكس, أي أن الأفراد يصبحون ثنائيي اللغة.
4. مرحلة الهيمنة الكاملة للغة المستقبلة على حساب اللغة الأم.

كل وحدة اجتماعية نجد أنه يتشخص آنيا في سلوكها اللغوي جزء معلوم من التشكيلة اللغوية الخاصة بالمجتمع المستقبل، مع وجود تفاوت في درجة التأثر والتأثير ، لهذا نجد مثلا سكان القصبة النازحين من منطقة القبائل ينتقلون تدريجيا في مراحل عملية التحول دون مقاومة حقيقة مقارنة بالجماعات التي تعود أصولها إلى بني ميزاب، وهذا يعود أساسا الى درجة الانغلاق والانفتاح الاجتماعيين، أي الى درجة التفاعل والتواصل الاجتماعي و الى الخصوصية السوسيو–ثقافية للجماعة الوافدة.

يمكن أن نذهب إلى أن كل أسرة في الجزائر وفق خصائصها الديمغرافية و وضعها الاجتماعي، تتمثل سلوكا لغويا يتماشى مع خصائصها ووضعها العام ضمن التشكيلة اللغوية الانتقالية، حيث هناك:

- أسرة يتحدث كل أفرادها اللغة الأم (دارجة عربية/قبايلية/شاوية/ شلحية/ مزابية/ تارقية) فقط.
- أسرة تعرف اللغة العربية و الأمازيغية بشكل متفاوت بين أفرادها.
- وثالثة تتصف بثنائية لغوية.

وعلى مستوى آخر ، نجد أسرا يتباين توزيع الأنماط اللغوية في كل واحدة منها وفق الأجيال أو الترتيب العمري لأفرادها، حيث يتحدث كبار السن اللغة الأم، ولا يعرف الأطفال غير العربية العامية أو العكس – على حسب لسان المنطقة الجغرافية المستقبلة–، بينما يتحدث الراشدون اللغتين معا وفي بعض الحالات الفرنسية أو الانجليزية بالنسبة لفئة المتعلمين.

إلى جانب ظاهرة الهجرة، وضع رالف فاسولد أسباب أخرى دافعة لظهور التحول اللغوي، منها التصنيع والتغيرات الاقتصادية، لغة المدرسة والسياسات التخطيطية، التمدن وكذا المكانة الكبيرة التي تتميز بها اللغة التي يتم التحول إليها (Fasold، 1990). لكن يجب توضيح فكرة أن هذه الأسباب لا تجد القبول دائما إذا ما ربطت بقومية أو بهوية جماعة تصر على ابقاء اللغة الأم كلغة مسيطرة.

هل التحول اللغوي يعني فقدان الهوية؟ أم انه حراك اجتماعي سليم داخل في إطار الانسجام والترابط والتفاعل الاجتماعي؟

الهوية يتم بناؤها عن طريق مجموع التراكمات الاجتماعية وكذا مختلف التجارب التاريخية التي عايشها المجتمع، الذي لا يقصي أنساقه اللغوية المتنوعة ولا العروض الهوياتية المقترحة له. فالطرح الذي يحاصر مسألة الثنائية اللغوية والتعدد اللغوي في الجزائر داخل اطار الصراع بين العروبيين والامازيغ وحتى المفرنسين، يتجاوز حقيقة أن هذا الصراع يبقى صراع نخب، غير منسجم ولا يتماشى مع واقع اللغة داخل المجتمع الجزائري (غماري، 2016، صفحة 42)، الذي استطاع أن يتجاوز أيضا مسألة تحديد هويته وتوجيهها بمجرد قرار أو رهان سياسي يتمثل في التعريب أو في ترسيم الأمازيغية أو حتى في تبني هوية كولونيالية موروثة.

الازدواجية اللغوية للفرد الجزائري، تعطي الفرصة لتجريب ومعايشة أكثر من ثقافة (wei, 2000, p. 20)، وخلق مجال اجتماعي مناسب للتفاعل والتبادل اللغوي، بحيث لا يكون لأي أيديولوجيا سيطرة شاملة في الوسط الاجتماعي العام. فكلما زاد التفاعل الاجتماعي لمختلف الانساق اللغوية، ازدادت قدرة المجتمع على تسيير المشاكل المتعلقة بالجهوية والهوية.

يمكننا نظريا، أن نخلص الى أن التحول اللغوي ينتج من طول الاقامة في المجتمع المستقبل، ويزيد هذا التحول مع الجيل الثاني والثالث، كما يتسارع أيضا في حالة وجود مصاهرات وزيجات مختلفة اللسان، لان الأسرة وبحكم وجود فرد مختلف اللغة داخلها تتحول آليا من حالة الأحادية اللغوية الى الثنائية اللغوية، الأمر الذي سيؤثر لاحقا في طريقة قولبة لغة الأطفال.

6. خاتمة:

إن اللغة وسيلة ينبغي أن تدرس في سياقاتها التفاعلية والبنيوية، وهي حقيقة اجتماعية بارزة تستجيب لمجموع العوامل المحيطة بالفرد الناطق بها، والتي تدعو بدورها إلى الاهتمام بالمجال الاجتماعي حيث تتطور اللغة و يتحول فيها اللسان من لغة الى أخرى. هذه هي الفكرة العامة التي أطرت هذه الدراسة، بحيث سعت إلى مناقشة طبيعة الرأسمال اللغوي و واقع اللغة في الجزائر مع إعطاء فكرة حول الطرق التي تؤثر في تمثلات الجماعات المتكلمة بصورة تراكمية في الاختيار اللغوي وفي طبيعة ظاهرة التحول اللغوي فيها، ومنه حاولت الخروج بالاستنتاجات التالية:

- لقد كشف استعراض مفهوم التحول اللغوي وبعض أعمال العلماء المهتمين به، وبروز هذه الظاهرة عالميا، أن هذه الظاهرة الاجتماعية تعني تحول مجتمع كلامي ما من لغته الأم الى لغة ثانية، بصورة متدرجة مع عدم إغفال حقيقة أنه لا يمكن تطبيق هذه المراحل على كل

المجتمعات المحلية، لأن الأمر يعتمد أكثر على عدة عوامل مؤثرة مسؤولة عن تسارع التحول اللغوي، ابطائه أو إعاقته (الإبقاء اللغوي).

- تتعلق فكرة أن اللغة نظام وساطة، بالمجتمع كمجال للممارسة وترتكز على افتراض أن التبادل اللغوي هي صفة اجتماعية.
- لكل عملية بناء ثقافي construction culturelle عملية بناء رساميل رمزي يقتضي تتبع ما يحدث داخل المجتمع من تفاعلات اجتماعية خصوصا تلك المتعلقة بطبيعة اللغة.
- التكلم بلغة معينة غير اللغة الأم، يعني المقدرة على المشاركة في التفاعل مع مجموعة أكبر من الأفراد مختلفي اللسان، وهذا ما يؤكد وجود بعد اجتماعي- تاريخي للغة.
- في حالة استقرار الثنائية اللغوية في جغرافيا معينة، ستكون هناك حالة من القبول اللغوي والحفاظ على الحرية اللغوية والثقافية.
- يحوي الواقع اللغوي الجزائري عدة ممارسات لسانية مرتكزة على مرجعيات نسقية منوعة، وعلى عمليات الاحتكاك والاقتراض والتبادل الاجتماعي ,
- يتضمن كل تحول لغوي إمكانية حضور فعل خاص بالهيمنة اللغوية ، مع توفر حالة من الاتفاق حول عدم الاعتداء الرمزي أو الهوياتي للطرف الأخر.
- الهجرة عامل أساسي في تغير النمط المألوف لاستخدام اللغة من الهيمنة الكلية للغة المحلية إلى الثنائية اللغوية لتنتهي بنمط الهيمنة الكاملة للغة المستقبلة.

الهوامش وقائمة المراجع :

- Anne pauwels (2016). *language maintenance and shift.* cambredge university press.
- bisson, J. (1989). le nomade, l'oasis et la ville. *URBAMA*(p20).
- bourdieu. (1977). l'économie des échanges linguistique. *linguistique et sociolinguistique*(34), p 17.
- boutet, J. (2017, 2-3). la pansée critique dans la sociolinguistique en France. *langage et société*(160- 161), p. 23.
- Fasold, r. (1990). *the sociolinguistics of language.* oxford : basil blackwell.
- fishman, J. (1964). language maintenance and language shift as a field of enquiry, adefinition of the field and suggestion for its futur development. pp. 32-70.
- holmes, J. (2013). *an introduction to sociolinguistique.* london: routledge.
- Joshua, f. (1971). *sociolinguistics :a brief introduction.* rowley : newbury house pubilshers.
- lahouari, a. (2013). *deux anthropologues au Maghreb : Ernest gellner et Clifford geertz.* paris: édition des archives contemporaines.
- madoui, M. (2014). les sciences sociales en Algérie : regard sur les usages de la sociologie. *socilogie pratique*, p. 229.
- Mannheim, K. (1956). *essays on the sociologie of cultur.* London: routledge.
- Marie- paul ferry. (1970). sapir et l'ethnolinguistique. (https://doi.org/10.3406/lagge.1970.2025, Éd.) *langages*(n°18), pp12-21.
- sapir, e. (1921). *language.* new york: harcontbrace and world.
- wald, p. (1999). la longue est un fait social. Dans p. wald (Éd.), *rapports entre la linguistique et la sociologie avant saussure.* tunis: l'université de tunis.
- wei, l. (2000). *the bilingualism reader.* london: routledge.
- ابن خلدون .(1921) .*كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر* .بيروت.
- آدم كوبر .(2012) .*الثقافة والتفسير الأنثربولوجي* .صباح صديق الدملوجي، المترجمون (بيروت :المنظمة العربية للترجمة).
- أشار بيار .(1996) .*سوسيولوجيا اللغة* .عبد الوهاب تزو، المترجمون (بيروت :منشورات عويرات).

- برنار صبولسكي .(2017) .*علم الاجتماع اللغوي* .عبد القادر ستقادي، المترجمون (الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية).
- بيير بورديو .(1997) .*أسئلة علم الاجتماع*. عبد الجليل الكور، المترجمون (المغرب :دار توبقال للنشر).
- خولة طالب الابراهيمي .ماي – ديسمبر(2002)" .أحنا أولاد دزاير نتاع الصح "ملاحظات حول لغة شباب باب الوادي .*إنسانيات*(18-17)، صفحة.16
- ديفيد انجلز – جون هيوسون .(2016) .*مدخل الى سوسيولوجيا الثقافة* .المترجمون، نصير لما (بيروت، لبنان :المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات).
- صالح بلعيد .(2017) .اللغة الام، الواقع اللغوي في الجزائر .*مجلة اللغة العربي*(37)، صفحة.134
- طيبي غماري .(2016) .*اللغة المدرسة والهوية الوطنية الجزائرية* .الجزائر :دار كوكب العلوم.
- عدنان أبو مصلح .(2006) .*معجم علم الاجتماع* . (الأردن :دار أسامة للنشر والتوزيع).
- فرديناند تونيز .(2017) .*تونيز الجماعة والمجتمع المدني* .نائل حريري، المترجمون (بيروت :المركز العربي لدراسة السياسات).
- فريديريك دو سوسير .(2014) .*فصول في علم اللغة العام* .أحمد نعيم الكراعين، المترجمون (مصر :دار المعرفة الجامعية).
- فلوريال كولماس .(2000) .*اللغة والاقتصاد* .المترجمون حمد عوض،(الكويت :المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب).
- هدسون .(1990) .*علم اللغة الاجتماعي* .محمود عياد، المترجمون (القاهرة :عالم الكتب).
- وزارة التخطيط. بلا تاريخ .(البيان التقييمي الاقتصادي والاجتماعي للعشرية1978- 1967) .ص .173 الجزائر.

[1] الجالية اللغوية: مجموعة اجتماعية قد تتكلم لغة واحدة أو أكثر وهي متماسكة بفضل تكرر أنماط التواصل الاجتماعي، قد تتألف الجاليات اللغوية مجموعات صغيرة متماسكة بفضل احتكاك أعضائها أو قد تضم مناطق جغرافية شاسعة.

[2] أول ورقة بحثية مفصلة كتبت حول موضوع التحول اللغوي تعود إلى جوشوا فيشمان joshua fishman عام 1964 والمعنونة ب: "الإبقاء اللغوي والتحول اللغوي كمجال للتحقيق، تعريف للمجال واقتراحات لتطويره في المستقبل " والتي اهتمت أساسا بالعلاقة بين التغيير أو الاستقرار في استخدام اللغة المحلية .

[3] يمكن أن يكون التمييز بين الأمازيغ والعرب أساسا لعمل كان هدفه صنع أزمة هوياتية تتجاهل وبشكل واضح الوحدة الثقافية العميقة للجزائريين، طبعا هذا الأمر مصدره التاريخي علم الاجتماع الكولونيالي الذي تجاهل الوحدة الثقافية التي تربط التقسيمات الثقافية—كما اعتقد بيير بورديو- .

[4] الأسر مزدوجة أو ثنائية اللغة (عربية/ شلحية أو شاوية...) تقدم حالة مثالية لتحليل طبيعة اللسان وتحولاته لأنها تقترض من القاموسين اللغويين معا.

[5] يقصد بالمواضعة تدخل السياسي في تحويل لغة محلية معينة إلى لغة رسمية.